‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

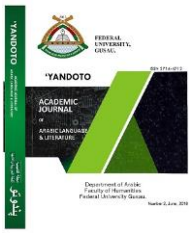

صيغ المبالغة في سورة "ص" الكريمة: دراسة صرفية تطبيقية

إعداد:

الدّكتور عبد الحكيم شئت

قسم الآداب والعلوم الاجتماعيّة التّربويّة،

كليّة التّربية، جامعة أحمد بلّو، زاريا – نيجيريا.

المقدمة:

يتميّز الأسلوب القرآني عمّا ألفه العرب في استخدام بعض صيغ للمبالغة، ومن جملة تلك الصّيغ ، الصّيغ الّتي كان القرآن الكريم مفعما بها في صور عديدة، لأداء وظائف مختلفة بغضّ النظر عن قياسيّتها وسماعيّتها ، الأمر الذي أدّى إلى أنها تُحيّر بعض الباحثين، حيث يحملون معنى المبالغة على بعض صيغ، وإن وردت تلك الصّيغ على وزن صيغة ما من أوزان المبالغة، فليست للمبالغة، لذلك يودّ الكاتب الوقوف على صيغ المبالغة في سورة ص الكريمة، لأنّها حاوية لأوزان المبالغة القياسية المتفق عليها، والسّماعيّة على وزن "فُعال". وعلى هذا، قسّم الكاتب مقالته إلى ثلاثة مباحث: فالمبحث الأول عبارة عن الجانب النّظري لصيغ المبالغة عند العرب. ويسعى المبحث الثّاني نحو دراسة تطبيقيّة لصيغ المبالغة القياسيَّة في سورة ص الكريمة، بينما يتمثل المبحث الآخر في صيغ المبالغة السّماعية في سورة ص الكريمة، ثم الخاتمة والهوامش.

المبحث الأول: دراسة نظرية لصيغ المبالغة عند اللغويين الصرفيين:

معنى المبالغة لغة واصطلاحا:

المبالغة أصلها من بالغ يبالغ مبالغة، أي استقصى الأمر إلى نهايته. وبلغ بفتح العين أي بلغ جهده، وأبلغ شخص، ما زال على غيره في البلاغ. بلغ بضم العين في الماضي والمضارع، يبلُغ ، بلاغة – صار أو كان فصيحا، فهو بالغ وجمعها بلغاء.[١]

والمبالغة اصطلاحا عند الصّرفيين، هي صيغ تأتي بدلا من اسم الفاعل للدلالة على المبالغة في معنى الفعل، وذلك أن صيغة فاعل تحتمل في دلالتها على الحدث، القلة والكثرة، فإذا أريد الدلالة على كثرة الحدث كمّا أو كيفا، حولت فاعل إلى إحدى هذه الصّيغ، وهي: فعّال، وفعول، ومفعال، وفعيل، وفعل.[٢] ويفهم من هذا التعريف أن صيغ المبالغة تتلاقى مع اسم الفاعل في المعنى، لكنها أقوى منه في الدّلالة.

آراء اللّغويّين الصّرفيّين في أقسام صيغ المبالغة عند العرب:

اختلفت آراء الصّرفيّين حول تحديد صيغ المبالغة إلى ثلاثة أقوال: ذهب القول الأول إلى أنّها خمس صيغ. وهي: فعّال، ومفعال، وفعول، وفعيل، وفعل، وممن قال بذلك سيبويه في معرض حديثه عن تحويل

اسم الفاعل إلى صيغ معينة لغرض المبالغة فقال: "وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلّا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة، فما هو الأصل الذي أكثر هذا المعنى، (فعول) و (فعّال) و (مفعال) و(فعل) وقد جاء (فعيل) كرحيم، وعليم، وقدير، وسميع، وبصير.[٣]

هذا، إن هذه الصّيغ الخمس قياسية من الفعل الثّلاثي المتعدّي، ونسب هذا الرّأي إلى بعض البصريّين.[٤] وفي تلك الصّيغ الخمس المشهورة يقول ابن مالك :

فعّال أو مفعال أو فعول * في كثرة عن فاعل بديل

فيستحقّ ما له من عمل * وفي فعيل قلّ ذا ومفعل[٥]

وهذان البيتان يشيران إلى أنّه، كثيرا ما يحوّل اسم الفاعل إلى صيغة ما من تلك الصّيغ الخمس للدّلالة على المبالغة والتّكثير.

وأوصل القول الثاني هذه الصّيغ إلى اثني عشر بناء دون أن يشير إلى سماع منها أو قياس [٦]. وابن خالويه في طليعة أصحاب هذا القول. الأمر الذي أدّى بالغلاييني إلى القول بأن أوازنها كلّها سماعيّة، وحدّد لها أحد عشر بناء، متّفقا مع ابن خالويه في بعضها، ومخالفا له في بعض[٧]. وتابعه في ذلك أبو المكارم، مضيفا إليها، ثلاث صيغ[٨].

وإليك تلك الصّيغ على حدّ قول ابن خالويه:

فَعَال: بفتح الفاء والعين المخففة – كفساق.

فُعَل: بضم الفاء وفتح العين – كغدر

فَعَّال: بفتح الفاء والعين المشددة – غدار.

فَعُول: بفتح الفاء، وضم العين، والواو بين العين واللام – غدور

مِفعِيل: بزيادة الميم والياء بين العين واللام وكسر العين – مِعطير.

فُعَلَةُ: بضم الفاء والتاء في الأخيرة – لمزة ، همزة، حطمة.

مِفْعال: بزيادة الميم والألف بين العين واللام – مِعطار.

فَاعِلة: بالألف بين الفاء والعين والتاء في الأخيرة – راوية.

فَعَّالة: بفتح الفاء وتشديد العين والألف بين العين واللّام والتّاء المربوطة في الأخيرة – علّامة.

فَعِيل: رحيم

فَعَالَة: بقاقة

مِفْعَالَة: مجرامة.

بينما ذهب الرأي الثالث إلى أن المبالغة كثيرة في هذه الصيغ: فعّال، ومفعال، وفعول، وهي قليلة في فَعِل، ومِفْعَل.

وبإمعان النّظر إلى تلك الصّيغ التي سردها ابن خالويه، يدرك القارئ أنه لم يحدّد القياسية والسّماعية منها، ولعل السّبب في ذلك، يرجع إلى أن بعض الصّيغ التي زادت على الصّيغ الخمس المشهورة (القياسية) لدى النّحاة والصّرفيّين، وردت في القرآن الكريم، ولم يحدّدها تأدّبا للقرآن الكريم.

ومهما يكن الأمر، فإنّ صيغ المبالغة منها قياسيّة ومنها سماعيّة، فقياسيّتها هي الّتي تصاغ على الأوزان الخمسة المشهورة، وكثيرا ما يكتفي بعض الكُتّاب – مثل ابن مالك ومن على شاكلته – بالحديث عنها دون إشارة إلى السّماعيّة منها.

كيفية صياغة صيغ المبالغة:

لا تؤخذ صيغ المبالغة إلا من الأفعال الثلاثية على الأوزان التالية: وهي الأشهر:

فعّال، مثل: قوّام، فالفرق بين قوّام وقائم، هو أن اسم الفاعل يدل على قيام الليل وفاعله، في حين أن صيغة المبالغة تدلّ على كثرة قيام الليل، والمبالغة، والتّكثير فيه من فاعله.

مفعال، نحو: مقدام

فعول، نحو: صدوق، جزوع، شكور.

فعيل، نحو: رحيم، هزيل، سميع.

فعل، نحو: حذر، فطن، قلق.

وقلّ مجيء صيغ المبالغة من الأفعال المزيدة – غير الثلاثيّة –، وقد ورد منها: مِغوار من أغار، مِقدام من أقدم، مِعطاء من أعطى، وبشير من بشّر، فالأفعال الثلاثية منها غير مستخدمة. وعلى هذا يقول ابن منظور : وقلّما يجيء (فعّال) من (أفعل)، ودرّاك من أدرك، وجبّار من أجبر، مبيّنا أنّها جاءت من ألفاظ أميتت الفعل الثّلاثي منها.[٩]

هذا، ويأتي على وزن فَعَّال أسماء تدلّ على ذوي حرفة، وليست بصيغ المبالغة مثل: نجّار، حدّاد، كلاّس، خبّاز، جمّال، صبّاغ، قصّاب.

أحكام صيغ المبالغة:

لصيغ المبالغة خمسة أحكام :

من شروطها أن تدل على التكثير في الفعل.

أن تكون من الأوزان التي قرّرها العلماء وهي: فعّال ، مفعال، فعول، فعيل، فعل.

تبنى هذه الصّيغ من الأفعال الثلاثية ، ولا يبنى من غيرها إلا في النادرة.

تعمل صيغ المبالغة عمل أفعالها، فترفع الفاعل ، وتنصب المفعول به.

لا تعمل هذه الصّيغ إلا بشروط في عمل اسم الفاعل أي يعمل عمل فعله وهي:

أن يكون مجردا من "أن" وشرط عمله في هذه الحالة، أن يكون للحال أو الاستقبال ، وأن يعتمد على نفي، أو استفهام، أو مبتدإ موصوف.

وقد يتجرّد اسم الفاعل من الدّلالة على القيام بالحدث، ثم يعمل عمل الفعل.

ويرى البصريّون إعمال صيغ: فَعَّال، مِفْعَال، فَعُول، بكثرة، بينما تعمل فَعِيل وفَعِل بقلة. وذهب الكوفيون إلى عدم إعمالها.[١٠] إنّ التّاء اللّاحقة ببعض أوزان المبالغة ليست تاء فارقة بين المذكر والمؤنث، بل إنّها تفيد المبالغة نحو: راوية. أو تأكيد المبالغة نحو: علّامة وفهّامة.

المبحث الثّاني: دراسة تطبيقيّة لصيغ المبالغة القياسيّة في سورة ص الكريمة:

وبما أنّ هذه السّورة مكيّة كلها، ومبدوءة بحرف من حروف التّهجي الّتي يعلم الله وحده حقيقة المراد منها، أقسم الله بقرآنه الكريم ذي الدّرجة العليا والشّرف العظيم. على أنّ في السّورة تنديدا شديدا بالكافرين الذين عجبوا من أن يأتيهم رسول منهم، يبلّغهم دعوة الله، ويدعوهم إلى عبادة ربّهم وحده دون غيره من الشّركاء .

وفي السورة بيان مقتضب عن أخبار لفيف من النبيّين وأقوامهم الظالمين ، كقوم نوح، وعاد، وفرعون، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، أولئك جميعا عتوا عن أمر الله، ونقلوا عن عقيدة التوحيد فأخذهم الله بالنكال الشّديد في هذه الدنيا قبل يوم القيامة، حيث العذاب البئيس. وفيها إخبار عن نبيّ الله داود، الّذي سخّر الله الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق. كما فيها قصة النبيّ الصابر أيوب عليه السلام، فقد أصابه من شديد السقم، وبالغ الضّرّاء ما لا يطيقه غير أولى العزم من أعاظم الصناديد الأبرار إلى غير ذلك من قصص النبيّين المرسلين، كإبراهيم، وإسحاق ن ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذي الكفل، ثم أخبار القيامة وأهوالها، وقواصمها.

هذا، وتنقسم صيغ المبالغة الواردة في سورة ص الكريمة إلى قسمين: صيغ المبالغة القياسيّة وصيغة المبالغة السّماعيّة. وردت جميع تلك الصّيغ على وزن "فَعَّال" ما عدا صيغة واحدة التي وردت على وزن "فُعَال"، وهي الصيغة السّماعيّة: "عُجَابُ". فالقسم الأوّل هو الذي عالج صيغ المبالغة القياسية شكلا ومضمونا في سورة ص الكريمة. بينما القسم الآخر عالج صيغة المبالغة السّماعيّة في السّورة.

صيغ المبالغة القياسيّة في سورة ص الكريمة :

وهي جملة من الصّيغ التي وردت وفقا للقواعد الصّرفيّة القياسيّة في السورة، وتعارفها العلماء، وهي: أوّاب، ووهّاب، وقهّار، وكذّاب، وغفّار.

وهذه الصّيغة بأسرها تغلبها ظاهرة عالية من دقّة النّسق، والوحدة في المادة والاشتقاق، حيث وردت صيغة "أوّاب" أربع مرّات في السورة، وصيغة "الوهّاب" مرّتين، والباقية أحاديّة، وفي كل موقع تمتاز الصّيغ بعضها عن بعض، وإن اتّحدت في الاشتقاق أو المادة .

وأوّل صيغة نلقاها في السّورة، هي صيغة "كَذَّاب"، وهي من الأحاديّة، وردت في قوله تعالى: وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ [١١]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة (كذّاب)، أصلها من كذب يكذب كذِبا وكِذْبا وكِذَابا: أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع. كذب عليه: أي أخبر عنه بما لم يكن فيه.[١٢] والكلمة "كذّاب" هي بناء المبالغة على وزن "فعّال" للدّلالة على ما اعتقده مشركوا العرب في النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم أنّه كاذب في كلّ ضرب من ضروب الحياة. جاءت صيغة "كذّاب" لتصوّر مدى عجب مشركي العرب واستكبارهم وشقاقهم من أن يأتيهم مبلّغ من البشر، يبلغهم دعوة ربّهم، ويحذّرهم بأس الله بكفرهم، وإشراكهم مع الله آلهة مزعومة وموهومة، وهذا أمر عجيب خارج عن احتمال الوقوع، وأنكروه أشد الإنكار لا أنّهم اعتقدوا وقوعه، وتعجبوا منه، لذلك قيل: بأنّه ساحر، مريدين بذلك الإشارة إلى النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ثابت في السّحر، لأنه يفرّق بين الوالد وولده، وبين المرء وزوجه.[١٣] وقيل: إنّه ساحر فيما يظهره من الخوارق، كذّاب فيما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال.[١٤]

هذا، ومن المعلوم أنّ العرب تنسب إلى الحرف والصّنعة صيغة فعّال غالبا، كالفرّاء، والرفّاء، والنسّاج، والنقّاض، لأنّ فعّال لكثير الفعل، وصاحب الصنعة مداوم لصنعته، فجعل له البناء الدّال على التكثير. فعند ما نقول: هو "كذّاب"، كان المعنى كأنّما هو شخص حرفته الكذب، لأن هذا البناء يقتضي المزاولة والتّجديد، وأن صاحب الصنعة مداوم على صنعته، وملازم لها، كما تقتضي الاستمرار، والتكرار، والإعادة، والتجدّد، والمعاناة. وقيل: هو لمن صار له كالطبيعة.[١٥]

ومهما يكن الأمر، فإنّ هؤلاء المشركين رموه بالكاهن، والساحر، وغيرهما، لذلك اعتقدوه كاذبا في كلّ ضرب من ضروب الحياة.

ومنها قوله تعالى: أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ[١٦]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "الوهّاب"، وهي من وهب له الشيء، يَهَبُهُ وَهْبًا، ووَهَبًا، وهِبَة: أعطاه إيّاه بلا عوض، فهو واهب، و وهوب.

و وهب فلان فلانا: غلبه في الهبة. [١٧] و"وهّاب" صيغة المبالغة على وزن فعّال للدّلالة على أنّه الكثير المواهب في غاية الكثرة، وردت هذه الصيغة لتعقّب على استكثار هؤلاء المشركين رحمة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم في اختياره رسولا من بينهم بسؤالهم إن كانوا يملكون خزائن رحمة الله حتّى يتحكّموا فيمن يعطون ومن يمنعون، لذلك يندّد بسوء أدبهم مع الله، وتدخّلهم فيما ليس من شأن العبيد. فالله هو الوهّاب الكريم الذي لا ينفد عطاؤه: أي الكثير المواهب، فإن النبوّة رحمة عظيمة، فلا يخول إعطائها إلا لشديد العزّة، وافر الموهبة. [١٨]

هذا، ووردت هذه الكلمة مرة ثانية في قوله تعالى: قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب [١٩]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "الوهّاب"، وردت هذه الصيغة على وزن فعّال لتدلّ على المبالغة، وذلك لمّا بالغ نبي الله سليمان في صفة هذا الملك الّذي طلبه، أتى في صفته تعالى باللّفظ الدّال على المبالغة فقال: "إنّك أنت الوهّاب": أي الكثير الهبات، لا يتعاظم عنده هبة[٢٠]. ولما طلب الهبة التي اختصّ بطلبها، وهبه وأعطاه ما ذكر من تعالى في قوله: (فسخّرنا له الريح ...)، وذهب بعض العلماء إلى أنّ نبي الله سليمان نشأ في بيت الملك والنبوّة، ووارثا لهما، فأراد أن يطلب من ربّه معجزة، فطلب على حسب إلفه ملكا زائدا على الممالك، زيادة خارقة للعادة، بالغة حدّ الإعجاز، ليكون ذلك دليلا على نبوّته، قاهرا للمبعوث إليهم، ولن يكون معجزة حتّى تخرق العادات. فذلك معنى قوله: (لا ينبغي لأحد من بعدي)[٢١]. وقيل غير هذا. إلا أن الكاتب يحسّ من قول سليمان عليه السلام أنّه يقصد بذلك عظمة الملك وسعته.

ومنها كلمة "أوّاب" في قوله تعالى: اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّاب [٢٢]. . فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "أوّاب"، وهي من آب يئيب أيبا، وإيابا، وأيبة، وإيبة: رجع. كما تعني هذه الكلمة "آب" بمعنى تاب.[٢٣] إذا قيل: آئب، وآيب، وأيّاب، وبهذين المعنيين وردت الكلمة في السورة. فأوّاب على وزن فعّال، بناء للمبالغة على أنه رجّاع إلى ربه بالطّاعة، والعبادة، والذكر، والاستغفار. وهنا أدركته طبيعته في أنه يرجع إلى ربه طائعا تائبا عابدا ذاكرا. [٢٤] لذلك فاستغفر ربه، وخرّ راكعا وأناب. وإنما هذا إشارة إلى الطّريق المطروقة في حياة الرسل – عليهم صلوات الله – الطّريق الذي يضُمهم أجمعين.

هذا، ووردت الكلمة "أوّاب" كذلك في قوله تعالى: وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ [٢٥]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "أوّاب"، ذهب العلماء إلى أن كلمة "أوّاب" الأولى تعني كثرة التوبة بالعبادة، بينما تعني هذه الثانية الرجوع إلى الله، أي كلّ واحد من الجبال، والطّير، لأجل تسبيح نبي الله داود رجّاع إلى التّسبيح. ووضع الأوّاب موضع المسبّح، إما لأنّها كانت ترجع التّسبيح، والمرجع رجّاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا

بعد رجوع، وإما لأنّ الأوّاب هو التّوّاب الكثير الرجوع إلى الله تعالى، ومن دأبه إكثار الذكر، وإدامة التّسبيح، والتّقديس. وقيل: الضمير لله عزّ وجلّ أي: كلّ من داود، والجبال، والطّير، لله أوّاب أي: مسبّح مرجع التسبيح. [٢٦] ووردت الكلمة في قوله تعالى أيضا: وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٢٧]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "أوّاب"، والأوّاب مبالغة في الآيب، أي: كثير الأوب بمعنى الرجوع إلى الله بقرينه أنه ما دحه. والمراد من الأوب إلى الله: الأوب إلى أمره ونهيه، أي إذا حصل له ما يبعده عن ذكر الله تذكّر فآب، فتاب. ويرى الفخر الرازي أنّ المخصوص بالمدح في (نعم العبد) محذوف، فقيل: سليمان، وقيل: داود، والأوّل أولى لأنه أقرب المذكورين، ولأنّه قال بعده: (إنّه أوّاب)، ولا يجوز أن يكون المراد هو داود، لأنّ وصفه بهذا المعنى قد تقدّم في الآية المتقدمة، فلو قلنا: لفظ "الأوّاب" هنا أيضا صفة داود، لزم التّكرار، ولو قلنا: إنّه صفة لسليمان، لزم كون الابن شبيها لأبيه في صفات الكمال والفضيلة، فكان هذا أولى.[٢٨]

وكذلك وردت الكلمة في قوله تعالى: إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٢٩]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "أوّاب"، وهي بناء مبالغة في مقام كثرة رجوع أيوب عليه الصلاة والسلام إلى الله، وأوّابا له من فتنة الضّرّ والاحتياج. وقال سفيان: أثنى الله على عبدين ابتليا: أحدهما صابر، والآخر شاكر، ثناء واحد. فقال لأيوب وسليمان: (نعم العبد إنّه أوّاب). [٣٠]

ومنها قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّار [٣١]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "القهار"، أصلها من قهر يقهر بمعنى غلبه، من باب فتح يفتح، فهو قاهر، وقهّار. ويقال: أخذهم قهرا من غير رضاهم، وفعله قهرا، بغير رضا. والقهّار اسم من أسماء الله الحسنى.[٣٢] و"القهّار" بناء مبالغة على وزن فعّال للدلالة على أن الله سبحانه وتعالى، هو الغالب في القهر، ولا يحدّ غلبته شيء. وذكر صفة القهّار تعريضا بتهديد المشركين بأنّ الله قادر على قهرهم، أي غلبهم .[٣٣] والمعنى أنّ ما تعلّقت إرادته فعله لا معترض عليه.

ومنها قوله تعالى: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّار [٣٤]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "الغفّار"، أصلها من غفر يغفر الشيء بمعنى ستره. ويقال: غفر الشيء بالخضاب: غطّاه، وغفر المتاع في الوعاء: أدخله فيه وستره. وغفر الله له ذنبه: غفرا، وغفرانا، ومغفرة: ستره وعفا عنه، فهو غافر. وللمبالغة: غفور، وغفّار.[٣٥] و"الغفّار" بناء مبالغة على وزن فعّال، أي المبالغ في المغفرة، يغفر ما يشاء لمن يشاء. وفي هذه النعوت من تكرير التّوحيد، والوعد للموحّدين، والوعيد للمشركين. [٣٦] ويرى ابن عاشور أن المقصود من وصف "الغفّار" هنا، استدعاء المشركين إلى التّوعيد بعد تهديدهم بمفاد وصف "القهّار"،

لكي لا ييأسوا من قبول التوبة بسبب كثرة ما سبق إليهم من الوعيد جريا على عادة القرآن في تعقيب التّرهيب بالتّرغيب والعكس.[٣٧]

المبحث الثّالث: صيغ المبالغة السماعيّة في سورة ص الكريمة :

تعدّ هذه الصيغة (فُعَال) من الصّيغ الأحاديّة التي وردت للمبالغة في السورة، وإن ذهب العلماء الصرفييون إلى أنّها من صيغ المبالغة السماعيّة عند العرب. وهي في قوله تعالى: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ [٣٨]. فالشّاهد من الآية الكريمة الكلمة "عُجَابُ"، أصلها من عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجَبًا، وعُجْبًا، وعَجْبًا: أنكره لقلّة اعتياده إياه [٣٩]، و" عُجَابُ " بناء مبالغة على وزن فُعَال، بمعنى ما يدعو إلى العجب الكثير، لأن الكفار يعجبون من دعوة النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الله الواحد، وذلك لأنه خِلَاف ما أَلْفَوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيّتهم، وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر.[٤٠] فصوّر التعبير القرآني البناء اللفظي "عُجَابُ" الذي يوحي بشدّة عجبهم، وضخامته وتضخيمه.

ومهما يكن الأمر، فإنّ هؤلاء الكافرين كانوا في غاية العجب لدعوتهم إلى ترك الآلهة لله الوحيد، فكيف يسع الخلق كلّهم هذا الإله الواحد.

هذا، وردت بعض الكلمات على وزن "فعّال"، وإن لم تكن من صيغ المبالغة في السورة، وإنما جيء بها لتناسب صيغ المبالغة الواردة في السورة وزنا، إذ وردت الصّيغ القياسية بأسرها على وزن فَعَّال – ما عدا عُجَاب – فصيغة تلك الكلمات على منوالها مثل: "بَنَّاءَ"، و"غوّاص"، و"غسّاق". ف"بنّاء"، و"غوّاص"، اسما فاعل مصوغان على زنة المبالغة للدّلالة على الصناعة، مثل: نجّار، وقصّار، وحدّاد. ويذكر النحاة أنّ فعّالا في المبالغة أصل لفعّال التي يراد بها النّسب ، فلما كانت فعّال تفيد الكثرة في المبالغة، أفادت كثرة المزاولة في النّسب، ولذلك جعلت للحرفة غالبا، لأنّ صاحب الصنعة مزاول لها. وذهب ابن الحاجب إلى أنّ: فعّال لما كان في الأصل لمبالغة الفاعل، ففعّال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء، ويعالجه، ويلازمه بوجه من الوجوه، إما من جهة البيع كبقّال، أو من جهة القيام بحاله كالجمّال، والبغّال، أو باستعماله كالسيّاف أو غير ذلك [٤١]. وقال ابن يعيش: قولهم لصاحب البتوت، وهي الأكسية، واحدها بتّ بتّات، ولصاحب الثياب ثوّاب ... وهو أكثر من أن يحصى كالعطّار، والنقّاش، وهذا النحو إنما يعملونه فيما كان صنعة ومعالجة لتكثير الفعل إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعته، فجعل له البناء الدّال على التّكثير، وهو فعّال بتضعيف العين، لأنّ التّضعيف للتّكثير .[٤٢] وجاء في المقتضب : هذا باب ما يبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة لتدلّ على النسب على ما تدلّ عليه الياء، وذلك قولك: لصاحب الثّياب ثوّاب، ولصاحب العطر عطّار، ولصاحب البزّ بزّاز. [٤٣] ف"بنّاء"، و"غوّاص"، أي سخّر الله لسليمان

الشياطين، فسلّطه عليها تسليطا، فاستعملها فيما شاء من أعماله، من بناء، وغواص، أي استعملهم بنّائين وغوّاصين، فالبنّاءون يصنعون المحاريب والتّماثيل، والغوّاصون يستخرجون الحلي من البحار. [٤٤]

ومهما يكن الأمر، فإن تلك الكلمات الأُول هي التي تحمل معنى صيغ المبالغة في سورة ص الكريمة، وأما الأُخَر فإنما وردت لتتناسب مع الصيغة القياسية للمبالغة في السورة.

وهذا مما لا شكّ فيه أنه معجزة من معجزات القرآن الكريم، الذي تحدّى الله به العرب وما وجدوا إلى مثله سبيلا.

الخاتمة:

تمّ عرض البيان عن المبالغة لغة واصطلاحا، وصيغ المبالغة عند اللغويين والصرفيين قياسية وسماعية، ثم الوقوف على صيغ المبالغة التي وردت في سورة ص الكريمة ، وأنها لا تعدو ست كلمات، وردت خمسا منها على وزن "فعّال" ، وهي للمبالغة القياسية، ووردت واحدة على وزن "فُعال"، وهي للمبالغة السماعية. وأمّا ما عداها من الكلمات مثل : بنّاء ، وغوّاص ، وغسّاق، وإن وردت على وزن صيغة ما من أوزان صيغ المبالغة القياسية في السورة الكريمة، وإنما وردت على منوالها مراعاة وتناسبا مع صيغ المبالغة القياسية في السورة للدلالة على الصناعة، كما يتّسم الأسلوب القرآني ببعض الصّيغ لأداء المبالغة غير الصريحة.

الهوامش:

[١] إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون ، المعجم الوسيط ، د. ط، د. ت، ج/١ ، ص: ٩٠

[٢] أحمد حسن كحيل ، التيبيان في تصريف الأسماء ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، د. ت، ط/٦، ص: ٥٦

[٣] عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تعليق الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ،ط/١ ، ج/١، ص:١١٠

[٤] أحمد حسن كحيل ، التيبيان في تصريف الأسماء ، ص: ٥٦

[٥] الصّبّان، محمد بن عايّ (الشيخ) ، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م، ط/١، ج/٢، ص:٤٨٨

[٦] الاستراباذي، رضي الدين بن حسن بن الحاجب ، شرح الشافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ط/١ ، ص:٤٩٠ – ٤٩١

[٧]مصطفى، الغلاييني (الشيخ) ، جامع الدروس العربية ، تعليق وتصحيح ومراجعة الدكتور إسماعيل العقباوي، شركة القدس للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ /٢٠١٢م ، ط/٢، ج/١، ص:١٧١

[٨]أبو المكارم ، علي (الدكتور)، التعريف بالتصريف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م، ص:٢٤٢ – ٢٤٣

[٩] ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د. ت، ط/٣ ، انظر مادة (د ر ك) و (ج ب ر)

[١٠] ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المكتبة العصرية، د. ت ، ص:٣٩٢ – ٣٩٥

[١١] سورة ص: ٤

[١٢] إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون ، المعجم الوسيط ، د. ط، د. ت، ج/٢ ، ص: ٨١٦

[١٣] أمير عبد العزيز (الدكتور) ، التفسير الشامل للقرآن الكريم ، دار السلام ، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ط/٢، ج/٥، ص: ٢٨٧١

[١٤] أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م ، ط/٤، ج/٧، ص: ٢١٤

[١٥] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج/٢، ص: ٩٧

[١٦] سورة ص: ٩

[١٧] إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج/٢، ص: ١١٠٢

[١٨] محمد الطاهر ابن عاشور (الشيخ)، تفسير التحرير والتنوير ، دار سحنون، تونس، د.ت ، المجلد التاسع، ج/٢٣، ص: ٢١٧

[١٩] سورة ص: ٣٥

[٢٠] محمد بن يوسف ، أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ، مراجعة صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م ، ج/٩، ص: ١٣٨

[٢١] أبوا القاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، د. ت، ج/٣، ص: ٣٧٥

[٢٢]سورة ص: ١٧

[٢٣] إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج/١ ، ص:٥٤

[٢٤] سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج/٥، ص: ٣٠١٥ ـ ٣٠١٦

[٢٥] سورة ص: ١٩

[٢٦] أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود، ج/٧، ص: ٢١٩

[٢٧]ص: ٣٠

[٢٨] الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ، تفسير الفخر الرازي ، دار الفكر ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م ، ج/١٣، ص: ١٧٩

[٢٩] سورة ص: ٤٤

[٣٠] محمد الطاهر ابن عاشور (الشيخ)، تفسير التحرير والتنوير ،ص: ٢٧٥

[٣١] سورة ص: ٦٥

[٣٢] إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج/٢، ص: ٧٩٩

[٣٣]محمد الطاهر ابن عاشور (الشيخ)، تفسير التحرير والتنوير ، ص: ٢٩٥

[٣٤] سورة ص: ٦٦

[٣٥] [إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون ، المعجم الوسيط ،ج/٢، ص: ٦٨٨

[٣٦] أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود، ص:٢٣٤

[٣٧] محمد الطاهر ابن عاشور (الشيخ)، تفسير التحرير والتنوير ، ص: ٢٩٥

[٣٨]سورة ص: ٥

[٣٩] إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج/٢ ، ص: ٦١٣

[٤٠] أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود،ص: ٣٠١٥ – ٣٠١٦

[٤١] رضى الدين الاستربادي، الرضى على الشافية ، تحقيق محمد محي الدّين وآخرون ، القاهرة، د.ت ، ج/٢، ص:٨٤ – ٨٥

[٤٢] يعيش بن يعيش ، شرح المفصل ، إدارة الطّباعة المنيريّة ، د. ت، ج/٦، ص: ١٣

[٤٣] أبو العبّاس، المبرّد ، المقتضب ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٣٨٦هـ، ج/٣، ص: ١٦١

[٤٤] أمير عبد العزيز (الدكتور) ، التفسير الشامل للقرآن الكريم ، ص: ٢٨٨١